مشروعية التأويل بين دلالة الفهم و نظرية المعنى
نصر حامد أبوزيد أنموذجا

بقدار الطاهر[1]

إشراف ا.د مونسي حبيب

ملخص المقال:

يشكل التأويل إحدى كبريات المعرفة وإحدى الروافد الهامة في الفكر الإنساني عامة وفي الفكر العربي الإسلامي على جهة الخصوص، خاصة في ارتباطه بالنص القرآني، وإذا كان التأويل يأخذ هذا الحيّز الكبير في الفكر العربي الإسلامي فقد أخذ حيّزا مهمّا في دراسات نصر حامد أبوزيد، وتشكّل موضوعه في أكثر كتاباته، في علاقة التأويل بالفهم والقراءة وفي وضع التأويل في التفسير العقلي والتفسير الصوفي وفي فلسفته وفي تشكل خطاباته.

يشرع نصر حامد أبو زيد في مقارباته التأويلية من منطلق التصور الذي أقامه على أن التأويل يستوجب النص، ذلك الحاضر في علاقاته المتداخلة والمتشابكة ، فالتأويل هو أهم ركيزة في قراءة النصوص، لأنه في نظر أبي زيد يساهم في فهمها وتحليلها داخل سياقها التاريخي باعتبارها منتجا ثقافيا، ولا بد أيضا من وضعها في سياقها القرائي، أي في السياق الذي أنتجت فيه، وفي السياق الذي تقرأ فيه. وبخاصة إذا علمنا انفتاحها على تعدد القراءات، والشيء الذي يؤكد عليه نصر حامد أبو زيد هو القدرة المعرفية التي يملكها القارئ في تأويل النص وتفكيكه والتحاور معها، غير أنه لا يمكن أن تنفتح هذه القراءات على كل التأويلات، ولا يستطيع النص أن يقدم جميع الإجابات حتى وإن كان النص نسيجا مفتوحا على العديد من العلاقات، فللتأويل حدوده التي يجب أن يقف عندها، فالعملية التأويلية تنبني على المحاورة التي يقيمها القارئ المعاصر مع النص.

1 – الاتجاهات التأويلية عند نصر حامد أبو زيد

يبدأ نصر حامد أبو زيد تصوره لقضايا التأويل من خلال دراساته المتعددة في مختلف مؤلفاته التي تحيلنا عن الاتجاهات التأويلية، ففي سياق البحث عن هذه الاتجاهات في دراسات نصر حامد أبوزيد يسوقنا البحث عن كنه الظاهرة التأويلية في فكره وفي فكر المحدثين الحاملين لمشاريع الفكرية الكبرى التي تتفق مع منابت التراث والتي تختلف معه، وهذا ليس بالمسألة اليسيرة الهينة، ولا بالفكرة السهلة البسيطة، فقضاياهم في التأويل تستدعي أدوات وإجراءات محكمة، وتصورات مفاهيمية معمقة، ونصر حامد أبو زيد يعتبر واحدا من بين زمرة هؤلاء الدارسين شغَله موضوع التأويل، في العديد من مناحيه. فلم يخْل مؤلف من مؤلفاته إلا وأشار فيه إلى مختلف الأنماط الدلالية للتأويل متناولا لمقاصده وأبعاده. ثم إن المنظومة

[1] طالب دكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

الفكرية الواحدة كما يراها نصر حامد أبوزيد هي التراث وقراءته بهدف اكتشاف الروابط الخفية بين مجالاته، وهذا للتوصل إلى وحدته، ومثاله في ذلك القواعد النحوية التي وضعها النحاة الأوائل في البناء النظري للغة العربية، لم يكونوا أبدا بمعزل عن ما أنجزه الفقهاء والقراء والمحدثين والمتكلمين ، كما أن البلاغيين في نشاطهم الفكري البلاغي لم يكونوا أيضا بمعزل عن العلوم الأخرى، كعلم الكلام وعلم الأصول وعلوم اللغة. فمن هذه الزاوية الفكرية يبدأ نصر حامد أبوزيد رسم البنية الفكرية للقراءة والتأويل، فالقراءة في نظره ضرورة في اكتشاف العلاقات العضوية التي تجمع بين المجالات المعرفية للتراث، ليتوصل في النتائج الأولية أنه كلما تحددت إشكالية القراءة التي تهدف الى اكتشاف الدلالة ، تحددت بصورة أدق إشكالية التأويل.

إن كان لموضوع القراءة الأهمية الكبرى في الاتجاه الفكري لنصر حامد أبو زيد فإن التأويل له من الأهمية ما جعله المحور الذي بنى عليه معظم طروحاته الفكرية، فهو يعلم يقينا أن دلالته اتسعت في مجال استخدامه وتوظيفه فانتقل من مجال قراءة النصوص الدينية وتفسيرها لينتقل إلى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، ثم إلى مجال نظريه المعرفة والفلسفة ثم تنتقل إلى النقد الأدبي والدراسات السيمائية، يرى نصر أبوزيد بالرغم من كل هذه المجالات التي مارسها التأويل إلا أنه لا بد أن يرجع إلى مجال تداوله الأصلي أي مجال قراءة النصوص الدينية وتفسيرها في تراثنا العربي [1]

وينطلق نصر أبوزيد في حديثه عن التأويل بالإشارة إلى دلالته اللغوية ويرى أنها تتضمن بعدين البعد الدلالي الأول في صيغة الفعل الثلاثي "آل" ومعناه العودة والرجوع و البعد الدلالي الثاني معناه الوصول إلى الغاية، ولا شك أن نصر أبو زيد رجع في بحثه اللغوي إلى المعجم العربية التي هي نفسها فسّرت معنى التأويل من"الأوْل" أي الرجوع ومن "الإيالة" أي الوصول إلى الغاية أو بمعنى الإصلاح والسياسة، من صيغة الفعل الثلاثي[2] فالمصطلحين بذلك عنده لا يتعارضان في فهم الدلالة الاصطلاحية، فالتأويل على البعد الأوّل هو إرجاع الظاهرة إلى عللها الأولى وأسبابها كما في سورة يوسف وفي سورة الكهف، وهناك آيات من القرآن لها البعد الاصطلاحي الأول، ويرى أنهما لا يتعارضان بل يكملان بعضهما البعض، لأن الوصول إلى الغاية لا يتحقق بمعزل عن الرجوع إلى الظاهرة وإدراك عللها وفهم لأسبابها [3].

3- جدلية التفسير والتأويل عند نصر حامد أبوزيد

من خلال ذلك ندرك أن حامد نصر أبوزيد يعود برؤيته لذلك إلى التراث الديني الذي شكل لديه الرؤية الفكرية بحثا عن موضوع التفسير والتأويل، فمصطلح التأويل في المدونات التراثية القديمة لا يخرج أنه

---

[1] نصر حامد أبوزيد، نقد الخطاب الديني المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة 2007، ص 115

[2] انظر ابن دريد، جمهرة اللغة،ج3 ص173. والأزهري، تهذيب اللغة،ج11 ص557 ، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج1 ص86. والجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4 ص 988

[3] نصر حامد أبو زيد ، نقد الخطاب الديني،ص116

تفسيرا ، وأن قصدهم بالتأويل كان هو التفسير، وحاولت الرجوع إلى تلك المدونات فوجدت أن تفسيراتهم لا تخرج عن هذا الاعتبار، فإن الذي شاع بين العلماء من أهل التفسير أن ابن جرير الطبري (ت310 هـ) وإن كان تفسيره جامع البيان عن تأويل أي القرآن من أجل التفاسير بالمأثور، ومع ذلك استعمل لفظ التأويل ولم يستعمل لفظة تفسير،[1] لأن في رأيه ورأي الذين حذوْا حذوه أن التفسير والتأويل مترادفان على معنى واحد، وكلاهما يعني الكشف عن معاني القرآن ، وجاء في طبقات المفسرين[2] أن الطبري جمع في تفسيره بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد قبله ولا بعده، ومما استقاه حامد أبو زيد أن التفسير عند العلماء يتعلق بالرواية أو بالنقل، والتأويل يتعلق بالدراية أو العقل، وأن النقل عنده هو الوسيلة الهامة للوصول إلى العقل، فالعلوم النقلية هي من العلوم اللغوية، وهي ما تعلق بعلوم القرآن من معرفة أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغيرها مما يتصل بالنص القرآني فهي في نظره اللوازم الضرورية للوصول إلى عالم النص ثم إلى تأويله [3]

ثم يبدو أن نصر حامد أبو زيد بنى تصوره النقدي لعملية التأويل من منطلق تفسير النص بشكل عام، دينيّا كان أو تاريخيا، ثم بالتساؤل عن طبيعة النص وعلاقته بالتراث من جهة، وعلاقته بمؤلِفه من جهة أخرى، ثم علاقة المفسر بالنص، ليتوصل بعد ذلك الى أن المعرفة التأويلية كانت مؤسسة من منطلق القواعد والمعايير التي وضعتها الهرمينوطيقا التي يجب على المفسر اتباعها لفهم النص، ثم في مرحلة متقدمة يحاول ربط الهرمينوطيقا بالفكر العربي، فالهرمينوطيقا إذن حسب رؤيته قضية قديمة وجديدة في الوقت نفسه، وهي في تركيزها على علاقة المفسر بالنص ليست قضية خاصة بالفكر الغربي بل هي قضية لها وجودها المُلح في تراثنا العربي القديم والحديث على حد سواء[4]

تحدث أبو زيد في البداية عن التراث العربي، وجهود المفسرين في تفسير النص القرآني سواء الذين_فسروه بالمأثور أو الذين فسروه بالرأي، فالاتجاه الأول حسب اعتقاده يعتمد في التأويل على الأدلة التاريخية واللغوية، أما الاتجاه الثاني يعتمد على المواقف الراهنة، أي النص سند للواقع ، ثم لا يفتأ أن يبين أن هذا لم يمنع أصحاب الاتجاه الأول أي التفسير بالمأثور من بعض الاجتهادات التأويلية في كتبهم ، كما أن أصحاب الاتجاه الثاني لم يتجاهلوا الحقائق التاريخية واللغوية اَلتي لها صلة بالنص المفسَّر[5].

3 – سلطة النص القرآني ومفهومه "جدلية المفسر والنص"

يتطرق نصر حامد أبو زيد من منطلق المعرفة التأويلية إلى الجدلية القائمة بين المفسر والنص والعلاقة بينهما، ودور المفسر في فهم النص، ففي كتابه "مفهوم النص" يركز على نمطين تأويليين، نمط عقلي

---

[1] ينظر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة بيروت لبنان، 1986، ج 1ص 6-7

[2] عبد الرحمن السيوطي طبقات المفسرين، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى 1976، ص 95.,

[3] انظر نصر حامد أبو زيد ، نقد الخطاب الديني،ص118

[4] نصر حامد أبوزيد اشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة 2008، ص 14 .

[5] المصدر نفسه ، ص 15

ونمط ذوقي، فالعقلي يرفع لواءه المعتزلة، وذوقي يشكل مساره المتصوفة [1]، ومن حق أي دارس أن يحاول معرفة الجمع بين هذين الاتجاهين المختلفين في التفسير والتفكير، فالبنية العقلية والبنية الذوقية مختلفتان لكنهما يظلان محاولة جادة في تأويل النص، على اعتبار أن النص القرآني نص محوري، والحضارة العربية الاسلامية هي حضارة النص [2]، والذي ينشئ هذه الثقافة ويقيم أسس هذه الحضارة هو ذلك الجدل القائم بين الانسان و الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة ثانية، ويمكن وصفه بأنه يمثل في تاريخ الثقافة العربية الدور الحضاري الذي يشكّل ملامح هذه الحضارة ويحدد طبيعة علومها، ليصل بعد ذلك بفكرته هذه إلى أن التأويل هو الوجه الآخر للنص الذي يمثل آلية هامة من آليات الثقافة والحضارة في إنتاج المعرفة، وبالتالي حين يكون النص محورا للحضارة أو للثقافة من المفروض أن تتعدد تفسيراته وتأويلاته، .والتعدد التأويلي في تصور حامد أبو زيد يخضع لمتغيرات عديدة، من أهمها طبيعة العلم وهو المجال المعرفي الذي يحدد طرائق التأويل وأهدافه في تناول النص،. وكذلك الأفق المعرفي الذي يحدد وجه الاختصاص في تناول النص. وهو بذلك يريد أن يقول أنه ليس للتأويل مدرسة هي التي تفرض رؤيتها على المفسر ، وإنما النص له السلطة المطلقة التي تجعل المفسر يخضع لها ، فسلطة النص عنده هي التي تدفع بالمفسر إيجاد صورة التعامل معه، كما يراهن بصورة أشد في المنحى النقدي معلنا أن أصحاب الاتجاه الاول يتجاهلون المفسر ويلغون وجوده لحساب النص وحقائقه التاريخية واللغوية، بينما أصحاب الاتجاه الثاني يؤكدون وجوده، ويسعى نصر حامد أبو زيد من خلال هذا الاستنباط الى التأكيد على أن التأويل بالرأي هو الذي يحقق البعد الفعلي للنص، وهذا ليؤكد العلاقة بين المفسر والنص من خلال الاتجاهين ويرى أن عملية التفسير تزداد تعقيدا وصعوبة كلما ابتعد المفسر عن زمن الكاتب وعن واقعه. .

يستثمر نصر حامد أبو زيد التأويلية الغربية بدءا بشلايرماخر ووصولا إلى بول ريكور، وذلك قياسا على جهودهم محاولا إسقاطها على النص التراثي ، والسؤال الذي يطرح نفسه هل في استطاعة نصر حامد أبوزيد أن يجد مادة التوافق النصي بين مجالين نستطيع أن نقول عنهما مختلفين إلى حد بعيد، أما أن باستطاعته أن يقرب بين المجالين، مما يجعل الفكرة عنده قادرة على إيجاد صورة للتوازن.

ولتبرير رؤيته والتأكيد على ما جاء به، يستند في طرحه الى ما توصل إليه شلايرماخر من مفاهيم نظرية في تفسيره لعملية التأويل. فالتأويل بدأ يتبلور مع شلايرماخر في تخليصه من النظرة اللاهوتية، لينطلق به نحو أفق الفهم الطبيعي للنصوص وتحليلها، فالتأويلية عنده كما يقول نصر حامد أبوزيد تنظر للنص باعتباره وسيطا لغويا ينقل فكر المؤلف الى فكر القارئ ، فاللغة إذا جانب موضوعي، والفكر جانب ذاتي، وكلاهما يمثل القواعد الأساسية الطبيعية المحددة لفن التأويل، ومهمة الهرمينوطيقا هي فهم النص

---

[1] نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الطبعة السابعة 2008، ص5 .

[2] المصدر نفسه ، ص9 .

كما فهمه مؤلفه، وهي أيضا البداية الطبيعية في فهم النص، حيث تبدأ بالمستوى اللغوي، ثم تنتقل الى المستوى الفكري [1]

ويركز أيضا نصر حامد أبوزيد من خلال طرحه لرؤية شلايرماخر على الدائرة التأويلية، والقصد من هذه الدائرة أن فهم العناصر الجزئية للنص لا تحصل الا بعد فهم كليته، ولفهم كليته لابد من فهم العناصر الجزئية المكونة له، ولتجنب سوء الفهم على المفسر أن يسوي نفسه بالمؤلف حتى وإن كان هذا يبدو مستحيلا، وأن يكون ذا طاقة تنبؤيه إلى جانب معرفته باللغة، هذه الطاقة التي يسعى من خلالها الى فهم نفسية الكاتب واكتشاف الجوانب المتعددة للنص، أي يكون هو الكاتب. وفي الاخير يرى حامد أبوزيد أن شلايرماخر هو أبو التأويلية، وهو الذي مهّد لكل الذين جاءوا من بعده، سواء بالاتفاق أو بالاختلاف وخاصة دلتاي و هيدغر وغادامير.[2]

فبالنسبة لولهلم دالتاي للوصول الى التأويلية الحقة اعتبر أن مادة العلوم الانسانية والاجتماعية هي العقل البشري، وهي مادة معطاة وليست مستقاة من الخارج كالعلوم الطبيعية التي هي مشتقة من الطبيعية، ويجب أن تقوم على أساس منهجي مختلف عن العلوم الطبيعية، لذا رفض دالتاي المذهب الوضعي الذي يرى ان العلوم الانسانية والاجتماعية لا بد ان تخضع لنفس المنهج التجريبي الذي تخضع له العلوم الطبيعية، ثم ينتقل للتجربة، ويقصد بها تجربة الحياة، وهي القاسم المشترك بين المتلقي والنص، فهي ذاتية عند المتلقي، موضوعية في العمل الأدبي فالهرمينوطيقا هي عملية الفهم، أي فهم الحوار بين تجربة المتلقي الذاتية، والتجربة الموضوعية للنص، وذلك من خلال الوسيط المشترك بينهما المتمثل في اللغة .

ومن هذا المنطلق يؤكد نصر حامد أبو زيد على ضرورة معايشة القارئ التجربة التي يعبر عنها النص، فالإنسان يفهم نفسه من خلال التاريخ باعتباره عملية مستمرة في الفهم والتأويل، والنتيجة التي أشار اليها دالتاي وأكد عليها حامد أبو زيد هي أننا نعيش تجربة النص الذي ينتمي الى الماضي، لأن الماضي وجود مستمر في الحاضر.

ثم ينتقل إلى مسألة أخرى أن دالتاي ترك فكره للإثراء لمن سوف يأتى بعده كمارتن هيدغر وهانز غادامير، رغم أنهما اختلفا معه في كثير من النتائج .

فمارتن هيدغر ربط التأويلية بالفلسفة، أي أن التأويلية تقوم على أساس فلسفي، والفلسفة تقوم على أساس تأويلي، على اعتبارها أي التأويلية هي فهم الوجود، وأن الفهم هو أساس الفلسفة وجوهر الوجود ، ويركز نصر حامد أبوزيد في تناوله لهيدغر الى تأثره بإدموند هوسرل فيما يتعلق بالفلسفة الظاهرية، حتى وإن كان هوسرل لم يشر الى الهرمينوطيقا، والمقصود بالمنهج الظاهري هو ترك الاشياء لتظهر كما هي،

---

[1] نصر حامد أبوزيد اشكالية القراءة وآليات التأويل، ص 23

[2] المصدر نفسه ، ص 23

فلسنا نحن الذين نشير للأشياء أو ندركها بل الاشياء تكشف نفسها بنفسها، فأصل الفهم الصحيح أن نستسلم لقوة الشيء ليكشف عن نفسه، والأشياء تكشف عن نفسها من خلال اللغة التي هي التجلي الوجودي للعالم، فخلاصة الأمر كما يشير نصر حامد أبو زيد أن الظاهرية عند هيدغر هي الهرمينوطيقا، و الهرمينوطيقا وجودية، فالنص هو تجربة وجودية وليس تعبيرا عن حقيقة داخلية، فهو يتجاوز الذاتية والموضوعية، فالعمل الفني لا يفصح عن الواقع المحدد في اللحظة التاريخية المحددة، وإنما يفصح عن الوجود، ومن نفس هذا الأطار الفلسفي بنى غادامير رؤيته للهرمينوطيقا، لكن مع إدخال الفلسفة الهيجيلية، وأن نظرته كما يشير نصر حامد أبوزيد تتضح بشكل قوي في كتابه الحقيقة والمنهج الذي أشار في مقدمته الى لمحة تاريخية عن الهرمينوطيقا ليصل إلى أن الفهم عملية وجودية، وأن البحث عن التجربة الحقيقية لا بد أن تكون بعيدة عن المنهج العلمي، فالحقيقة تتجلى في الفلسفة والتاريخ والفن[1].

.فالهرمينوطيقا هي فهم العلوم الانسانية على حقيقتها، وليس بالنظر إلى المنهج كما فعل دلتاي حين يرى أنه كي نفهم عملا فنيا عظيما، علينا أن نستحضر ما سبق أن جربناه في حياتنا، ومن ثم يكون فهمنا لأنفسنا. والمعرفة التي يثيرها فينا العمل الفني هي تفاعل بين تجربتنا والحقيقة التي يجسدها العمل ثم إن الحاضر ليس معزولا عن تأثير التقاليد التي انتقلت الينا عبر التاريخ، إن الوجود الانساني تاريخي ومعاصر في الوقت نفسه، والتقاليد التي اتت إلينا عبر التاريخ، هي المحيط الذي نعيش فيه، وهي التي تشكل وعينا الر اهن. التاريخية هي المحيط غير الظاهر الذي نعيش فيه، والاشياء تفصح عن نفسها من خلال اللغة، وفهم النص لا يعني فهم تجربة المؤلف، بل يعني فهم تجربة الوجود التي تفصح عن نفسها من خلال النص.

فحامد أبوزيد يتفق مع هيدغر في إقامة الوجود على أساس هرمينوطيقي وإقامة الهرمينوطيقا على أساس وجودي، غير أنه متأثر بجدلية هيغل فالتأويلية إذا حسب هذا المفهوم تقوم على أساس جدلي. فالتاريخية عند كل من هيدغر وغادامير تاريخية الوجود الإنساني، تاريخية زمنية تعني تراكم خبرة الوجود في الزمن .[2]

ومن مفكري الهرمينوطيقا أيضا كما يذكر حامد أبوزيد "بيتي وهيرش وبول ريكور"، فالتأويلية عندهم لا تقوم على أساس فلسفي، ولكن على أساس تفسيري، أي علم تفسير النصوص أو ما يسمى بنظرية التفسير. فبول ريكور بنى فكره التأويلي على أساس فهم الرموز وتفسيرها في النصوص اللغوية، فهده هي غاية الهرمينوطيقا، فالرمز علىرأي بول ريكور نافذة نطل منها على عالم واسع من المعاني، حتى وإن كان البعض يرى أن الرمز حقيقة زائفة لا يجب أن نثق فيها، وهذا ما اعتقده نيتشه وماركس و فرويد .

---

[1] المصدر السابق، ص 40

[2] المصدر السابق، ص44

فالنصوص اللغوية الحرفي الظاهر فيها يكون وسيلة للوصول الى المعنى الباطن، فمهمة المفسر الوصول الى المعنى الكامن فيها .والنص ظاهر وباطن مباشر وغير مباشر حقيقي ومجازي، وحتى تكشف النصوص عن رموزها الكامنة فيها، لابد من التركيز على معنى النص. هذا ما يسلم به نصر أبو زيد، ويتفق فيه مع هيرش وبيتي في تركيزهما على معنى النص واعتمادهما على المنهج الفيلولوجي الذي يعتبر لديهما المنهج الأمثل في تفسير النصوص [1].

ومن هنا يتوصل أبو زيد إلى ضرورة الاهتمام بالمعنى لا بالبنية، فالمنهج البنائي في نظره ليس له القدرة في الكشف عن معاني الرموز الموجودة في كثير من النصوص. ويستخلص أن الهرمينوطيقا الجدلية عند غادامير من خلال تعديلها من منظور جدلي مادي نقطة بدء أصيلة في علاقة المفسر بالنص، ليس في النصوص الأدبية فقط بل يمكن الاستفادة منها في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره الى الآن، لنرى كيف اختلفت الرؤى ، ومدى تأثير رؤية كل عصر – من خلال ظروفه – للنص القرآني ، وللكشف على الاتجاهات المعاصرة في تفسير النص القرآني، ورؤية دلالة تعدد التفسيرات على موقف المفسر من واقعه المعاصر، سواء في النص الديني أو النص الأدبي.

3- الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص

ولعل هذه هي النتيجة التي أراد التوصل إليها من خلال نظرته التأويلية، وهو البحث عن تأويل يشبع فضول العقل، ويحل مشكلات الواقع الراهن دون مداهنة مصلحة قائمة، أو مهادنة سلطة قامعة وهذا حسب حركة البحث في علم الكلام التقليدي الموروث.

أما حين يوجه نظره إلى التعامل مع النصوص خارج إطارها اللغوي يرى أن التأويل يتسع في استخدامه في القرآن ليشمل الأحداث والوقائع والظواهر ويرى أن لكل مجال معرفي أدواته ووسائله التفسيرية التي لا ينهض التأويل إلا عليها[2] ومن هذا المنحى يعلل نصر أبو زيد بأن التفسير يرتبط بالرواية والنقل والتأويل يرتبط بفاعلية العقل والاستنباط دون أن ينسى بأن للنص عالما من العلاقات الدلالية التي تظهر من خلال القارئ المحكوم معرفيا بآفاق المكان والزمان وتصبح قراءته حين ذاك إبداع نص على نص.

السياق التاريخي و السياق الاجتماعي للنصوص هما البعد الذي يعتمده حامد أبو زيد في طرحه خاصة حين يشير إلى أن النص له وظيفة إعلامية يقوم بها فتحليل معطياته الكلامية هو الذي يجب أن يكون في ضوء الواقع، فهو بهذا يؤكد أن النصوص الدينية يمكن أن تخضع لتطبيق المناهج الحديثة عليها تلك المناهج المتعارف عليها والمعمول بها في تحليل النصوص،[3]،

---

[1] المصدر السابق، ص48

[2] نصر حامد أبو زيد ، نقد الخطاب الديني،ص118

[3] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص،ص 26

وهذا ما سعى لتأكيده والتركيز عليه بقوله:" وإذا كان البدء بالواقع معناه البدء بالحقائق التي نعرفها من التاريخ، فإن دراستنا لمفهوم النص سعيا لتحديد ماهية الاسلام لا ينبغي أن تغفل الواقع، بل عليها أن تبدأ به بوصفه الحقيقية العينية الملموسة التي يمكن الحديث عنها"[1]، وعليه فإنه هنا من خلال طرحه يرى أن للواقع اعتبار مهم وواسع لأنه يشمل جميع الأبنية الحياتية الاقتصاد والاجتماع السياسة والثقافة، ويشمل كل المخاطبين به بما في ذلك المتلقي الأول للنص. وهذا يعني في مجمله يمكن أن يخضع النص القرآني إلى تطبيق المناهج التحليلية، وهذا ربما بدافع الخطوات الأولى للتجديد، ويبدو أن حامد أبو زيد تأثر بأراء أمين الخولي الذي يعتبر أحد رواد المدرسة الحديثة في التفسير فإن منهجه التجديدي الذي أطلق عليه التفسير البياني للقرآن اعتمد على خاصيتين اللغوية والتاريخية والموضوعية [2]، وربما هذه الخصائص كانت من جملة المفاهيم التي اعتمدها نصر أبو زيد فالخاصية التاريخية الثقافية عقد لها نصر حديثا مطولا في معظم تآليفه، غير ما شد انتباهي في مسرد كلامه عن واقعية النص وتجلياته التاريخية والثقافية في ضوء التحليل وفق المناهج يورد اعتراضا عن ذلك يقول فيه:" والاعتراض الذي يمكن أن يشار هنا: كيف يمكن تطبيق منهج تحليل النصوص على نص إلهي، وقد يتضمن الاعتراض بعض الاتهام (والعياذ بالله من سوء النية) حول تطبيق مفاهيم البشر ومناهجهم على نص غير بشري، من حيث أصله ومصدره"[3]. لكن تبريره في هذا الاعتراض أن الله سبحانه ليس موضوعا للتحليل أو الدرس، وأنه سبحانه شاء أن يكون كلامه إلى البشر بلغتهم أي من خلال نظامهم، فالمتاح عنده هو درس" الكلام" وتحليله وفق المنهج اللغوي لأنه هو المنهج الوحيد ، على حد اعتباره الأساس في فهم رسالة النص.

5 – المنظور العقلي والعرفاني للتأويل عند نصر أبوزيد

إن التجليات التي بنى عليها نصر حامد أبوزيد تصوراته المعرفية، والتي ساهمت بشكل كبير في رؤيته، وبدت بشكل واضح في تعامله مع الفكر الاعتزالي والفكر الصوفي بشكل أخص ، وكأن به يضع رؤيته وفق معيار عقلي ومعيار عرفاني، فالمعيار العقلي في تصوراته شكلته المعتزلة، فهذه الفرقة كما هو معلوم أسست فكرها العقدي على منهج عقلي، باعتبار العقل ملكة التفكير في إدراك الأشياء، والذي بموجبه يستطيع الإنسان أن يوظف الأفكار والأحاسيس في وعي المنطق، وفي البحث والاكتشاف عن حقائق الأشياء الجوهرية عبر علم الكلام.

لكن السؤال هل يتفق حامد أبو زيد مع المعتزلة في كل ما ذهبت إليه في محتوى الفكر المؤسس لعقيدتها، أم أن تصوره لم يتعد حدود الفكر التأويلي ، أم أن الشيء المثير للجدل عند نصر حامد أبو زيد في علاقته مع المعتزلة باعتبارهم أول فرقة إسلامية تبنت نهج العقل في نظرتها للمسائل الدينية، وخاصة في

---

[1] المصدر نفسه ص26

[2] انظر أحمد محمد سالم، الإسلام العقلاني، تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي،رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ، الطبعة الأولى 2009، ص 150.

[3] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص،ص 27

نظرتهم للقرآن على أنه مخلوق وليس كلام الله الأزلي. وقبل أن يتطرق نصر أبوزيد إلى مسألة التأويل عند المعتزلة سعى في كتابه " الاتجاه العقلي في التفسير"[1] إلى ذكر الظروف التاريخية لنشأة فكرهم، ثم إلى المعرفة والدلالة اللغوية المعتمدة لديهم، ليصل الى قضية المجاز وربطه بمسألة التأويل، فهو حسب تصوره أن المعتزلة بداية مع واصل بن عطاء ومرورا بأبي الهذيل العلاف وتلميذه إبراهيم بن سيار النظام، ووصولا إلى الجاحظ. فهؤلاء جميعا مع اجتهاداتهم يذكرهم نصر أبوزيد في غضون حديثه عن المعرفة والدلالة العقلية عند المعتزلة، كما يسعى من خلال الحديث عنهم إلى وضع مقارنة بينهم وبين الأشاعرة لتكتشف لديه خصوصية الفكر الاعتزالي.

إن العدل كما هو معروف هو أحد مبادئ المعتزلة الخمسة، ومن أهم مبادئهم على الاطلاق بعد مبدأ التوحيد، حتى عرفوا بمصطلح العدلية، وبالعدل تتحقق عدالة الله وتنزيهه عن الظلم، وتتأكد علاقة الاتصال بينه وبين مبدأ الاختيار، حيث أن عدل الله نتيجة حرية المكلف واختياره، فالمتتبع لآراء المعتزلة لا يتجاوز هذا المبدأ. ، وتشير الكثير من الدراسات بشأن العقل والاختيار، فالعقل قادر على التمييز بين الخير والشر، بين الحسن والقبيح، وإرادة الإنسان سابقة لأفعاله التي يفعلها حسب اختياره"[2]

لقد تشبع نصر أبوزيد بآراء المعتزلة، ويبدو ذلك من خلال دراسته المقدمة حولهم حتى أنه جعل من عبارة إبراهيم النظام التي يقول فيها " العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإن أنت أعطيته كلك، فأنت من إعطائه لك البعض على خطر" جعل منها منهجا واسلوبا في فكره، كما أنه يذكر شدة إعجابه بهم . ومن خلالهم يقول متحدثا عن نفسه:" فوجدتني أدخل في ثلاثة حقول معرفة، تاريخ تفسير القرآن، وتاريخ البلاغة العربية، وعلوم اللغة بشكل عام"[3].

الحرية هي المفهوم الذي أسس عليه المعتزلة مسألة الاختيار الذي هو نقيض الجبر، وهو المفهوم الذي يرتبط بمسألة العدل الذي يشكل أهم قضايا الاعتزال، والذي يعتبر أي العدل الإطار المعرفي لقضية الحرية ، وتم إحياء هذا المفهوم في عصر النهضة العربية، رغم أن مسألة الحرية والاختيار والجبر من المسائل الخلافية، ثم إن موضوع الاختيار يحيل إلى مسألة اللغة التي يراها القاضي عبد الجبار وهو من متأخري المعتزلة أنها اصطلاح وليست وقفا [4] الشيء الذي أدى إلى بلورة المفهوم من صورته العقدية وبعده الديني ليصبح في شكله السياسي ابتداء من عهد الصحابة إبان الفتنة الكبرى . هذه الأبعاد مكتملة

---

[1] انظر نصر حامد أبو زيد ، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي المغرب، الطبعة السابعة 2011 ص 11.

[2] أحمد محمود صبحي، دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، " المعتزلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة 1985. ص 141.

[3] جمال عمر، أنا نصر أبو زيد، دار العين للنشر القاهرة، 2013، ص43 .

[4] القاضي عبد الجبار ، الأصول الخمسة تحقيق وتقديم، فيصل بدير عون لجنة التعريب والتأليف والنشر الكويت، الطبعة الأولى 1998

جعلت نصر حامد أبو زيد يقف موقفه من المعتزلة ، ثم يتحدث نصر أبو زيد عن المجاز باعتباره وسيلة لغوية عند المعتزلة لا تنفصل عن التصور العام للغة، ومن خلال مباحث المجاز عند المعتزلة نجد نصر أبو زيد قام بجمع الآيات القرآنية التي قام المعتزلة بتأويلها وأجروا عليها فكرة المجاز، ثم يتوصل أن المجاز عندهم مجرد وسيلة لتستقيم الآيات القرآنية مع مبادئهم الفكرية والعقلية ، فالمعنزلة بسبب اعتمادهم على العقل حاولوا ان يضعوا أصولا عامة للتأويل تمكنهم من تأويل آيات القرآن الكريم تأويلا يتفق مع أصولهم العقلية في العدل والتوحيد وفي الوقت نفسه تكون مانعا تقف حاجزا أمام خصومهم من التأويل والاحتجاج ضد هذه الأصول وخلافها، ويؤكد نصر أبو زيد أنهم وجدوا المحكم والمتشابه طريقا ومسلكا مهما في إرساء قواعدهم في التأويل[1] . فالمحكم والمتشابه في مفهوم المعتزلة هو الأساس الذي يرتكز عليه قانون التأويل، فعنهم كل ما يدعم وجهة نظرهم فهو محكم يدل بظاهره وكل ما يخالف وجهة نظرهم فهو متشابه يحق لهم تأويله، فهناك علاقة بين المعتزلة والتأويل وقضايا المحكم والمتشابه.

تشكل المعتزلة عند نصر حامد أبوزيد أحد المعالم الفكرية التي اصطبغت أفكارهم بصبغة عقلية فبرغم ما قيل في شأنهم من خصومهم وبالرغم من الصراع الفكري بينهم وبين غيرهم من الفرق الأخرى إلا أن " نصر أبوزيد" اعتبرهم في مواطن كثيرة من كتاباته أنهم المحرك للعجلة الفكرية ابتداء من منتصف القرن الثاني للهجرة فاعتمادهم على العقل وجعله أصلا قبل النقل والشرع هذا في حدّ ذاته صورة تشكل اهتمامه بفكرهم ومبادئهم المعرفية، فالمعتزلة انطلاقا من الأصول الخمسة[2] التي اعتمدوها كان المرتكز فيها عقليا، وبالتالي تحيل مبادئهم إلى صورة التأويل عندهم الذي يقوم على المجاز، أذن التأويل وعلاقته بالمجاز عند المعتزلة شكلت هذه المنظومة هما فكريا عند نصر حامد أبوزيد، فالمجاز[3] لم يتحدد في نهج المعتزلة إلا في فترة متأخرة من ظهورها وإن كان هو قسيم الحقيقة و لفظة المجاز لم تكن مستعملة بمعناها البلاغي قبل القرن الثالث الهجري وأن من وضع يده عليه وحدد مصطلحه هو الجاحظ إذ يرى أن المجاز مفخر العرب في لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت[4] .

فالنص القرآني كما يؤكد نصر حامد أبوزيد يمكن ان يدرس من زوايا كل العلوم، وهو ما حدث بالفعل في علوم التراث فقضية الاعجاز مثلا درسها المتكلمون لإثبات النبوة ودرسها البلاغيون للكشف عن الاوجه اللغوية للإعجاز وهي ايضا مقدمة تمهيدية في علوم الفقه واصوله وهو علم من علوم القر آن [5].

6 – نصر أبوزيد بين النص والخطاب

---

[1] نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير ، ص 164

[2] هي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[3] أشار إليه سيبويه بعبارة سعة الكلام وسماه الفراء الإجازة واستمر في خطواته بعد الجاحظ مع ابن قتيبة والرازي ووصولا إلى عبدالقاهر الجرجاني أنظرأحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج 3ص196

[4] انظرالحيوان ج5 ص25

[5] انظر نصر حامد أبو زيد مفهوم النص– دراسة في علوم القرآن ص19

إن مفهوم النص وإشكالياته طرح تساؤلات كثيرة لدى الكثير من الباحثين في مجال في التأويل النصي ودفع بالبعض إلى استبدال مصطلح النص بالخطاب، وشاع تداول الخطاب مع مفهوم النص، وظل يشير أحدهما للآخر غير أن نصر حامد أبوزيد يستعمل المصطلحين معا غير أن استعماله لكليهما موجها بفروق فكرية مختلفة ففي إشارته للخطاب دلالة، وفي إشارته للنص دلالة أخرى.

فالنص هو الأقدم في الدلالة والممارسة، وقد استعمل النص على أنه مدونة كلامية وحدث تواصلي تفاعلي، وارتبط النص والخطاب بمفاهيم جديدة، فقيل النص هو خطاب تم تثبيته بالكتابة ، ومن جملة ما اعتمده نصر حامد أبو زيد في دلالة النص حين يصير داخل مجموعته البشرية دالا على ثقافتها معبرا عن تاريخها مشكلا لحضارتها فالمدلول اللغوي غير كاف في اعتباره نصا ما لم يضف إليه المدلول الثقافي الذي يمنح له هويته وقيمته.

ويشير عبد السلام المسدي إلى أن الكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة قد ساعد على حصر مجال الأسلوبية وأنها تتصل بالحيز العملي المحسوس المسمى عبارة أو خطابا أونصا أو رسالة[1] . وفي معرض حديثه عن الأسلوب أنه يستمد تصوره من علاقة الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر ويقصد بالخطاب الأصغر النص أما اللغة فهي الخطاب[2]

لقد خصص علي حرب فصلا كاملا في كتابه " نقد النص"، يتحدث فيه عن مسالك الخطاب عند نصر حامد أبوزيد، ويعتبره من أهل الكتابة الذين يقاومون منطق القوة ومشاريع السيطرة، ثم يرى أن هذا الحديث ينطبق على الجابري وأركون وحنفي والعروي والصفدي وأدونيس، لأن هؤلاء ومن سار على نهجهم احتلوا الصدارة على الساحة الفكرية العربية، وأصبحوا مراجع فكرية وسلطات معرفية [3].

ويركز علي حرب على كتاب نصر أبوزيد " مفهوم النص " الذي يتناول فيه القرآن وعلومه دراسة وتحليلا، ويرى أنه أقدم على هذا بكل آلياته الممكنة المعتمدة على إعادة انتاج النص، وإعادة اكتشافه والتعرف إليه، والتعامل معه باعتباره حقلا معرفيا مفتوحا على مختلف الدلالات، ويرى أن القراءة التي تستعيد النص بمنطق الثبات والتقليد والتطابق، هي قراءة ميتة، لأنها تبحث عن حقائق نهائية، وأجوبة حاسمة، ومعلومات جاهزة ومعارف ثابتة".[4]

ثم يختم فصله هذا يقول فيه عن خطاب نصر حامد أبوزيد :"إنه خطاب ينفي ما يتكلم عليه، أو بالأحرى يؤكد ما يعمل على نفيه، أعني أنه يناهض الأصولية ولكنه يقف على أرضها"[5]

7 – القرآن والتاريخية والتأويل:

---

[1] عبد السلام المسدي،الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديدة ليبيا، الطبعة الخامسة 2006، 35.

[2] المصدر نفسه ،77

[3] علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي المغرب، الطبعة الرابعة 2005 ،ص 199

[4] المصدر نفسه، ص 204

[5] المصدر نفسه ، ص 220

التأويل آلية من آليات القراءة تلك القراءة التي تعتبر المساءلة الصريحة لمختلف النصوص عامة وللنص الديني على جهة الخصوص، هذه القراءة هي التي أسست علاقة التأويل بالتاريخية، فكان من أهم نتائج القراءة تأسيس الرؤية التاريخية، بعدما كانت من أدواتها التأويل فقط، فالنص الديني لا يكون مقدسا ما لم يقبل التأويل لأنه إجماع على أن التأويلية ينصب اهتمامها على النصوص المقدسة، ومن القضايا التي أسس لها نصر حامد أبوزيد في مشروعه الفكري وحمل لواءه هو علاقة القرآن بالزمان والمكان لكن هذه العلاقة هي علاقة النص القرآني نفسه تتجسد في أسباب النزول إذ يربط الفرآن بالوقائع والأحداث التي نزل لأجلها وهذا يعني أنها موثوقة بسياق تاريخي معين وهي محاولة ترسخت في المسارات التاريخية التي جسدها نزول القرآن، ولا بد من خلال دراستنا أن ندرك البعد الذي كان نصر يهدف إليه من هذه الزاوية ، ثم كيف كانت رؤيته للرعيل الأول من العلماء الذين وقفوا على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

ثم إن توظيف التاريخية لديه كان بناء على طبيعة اللغة وارتباط الدوال بالأنساق التاريخية التي وجدت فيها، فإنه من كان معاصرا للنص يدرك سلاسته ويستوعب مفهومه، وكلما ابتعد عن زمانه ومكانه سيواجه مشكلة أكبر من فهمه، ويتساءل في نفس السياق عن العمر الافتراضي لأي نص أي الزمن الذي لم يعد فيه مفهوما بسبب ابتعادنا عن زمن وجوده،[1] . فالإشكالية التي يطرحها نصر أبو زيد هي النص القرآني في ظل تغير الجهاز المفاهيمي كيف يمكن لنا فهمه ومن ثم يتوصل إلى نتيجة مفادها أن التاريخية جزء من طبيعة اللغة التي جاءت وفق نسق تاريخي وثقافي ما والأنساق التاريخية تتغير بتغير الزمان والمكان، وما دام النسق متغير فإن الإنسان متغير، لكن الناس لعلاقتهم بالنصوص المقدسة وإيمانهم بها يصرون على بقائها وتبقى حين ذاك صالحة لكل الأنساق ولجميع المجتمعات البشرية فيما بعد ، فالسؤال المطروح بناءعلى ما توصل إليه نصر حامد أبو زيد من أن النص ثابت والأنساق متغيرة وكذلك الأنسان لكن النصوص تجري في داخل الإنسان وتمارس تاريخيتها معه أي أنها تتغير بتغير الأنساق ف الأنسان في عصر النزول وعصرنا هذا متكون في داخل هذا التطور التاريخي ، أي متكون داخل النسق التاريخي فالنصوص التاريخية جزء من تكوينه لا ينفصل عنها ولا يمكن له أن ينفصل عنها أبدا .

إن بشأن الإشكالية التي طرحها نصر أبوزيد في توظيفه للتاريخية يقول مصطفى الحسن :"فإذا كان القرآن تاريخيا وبالتالي لا تكن قراءته أي تأويله الآن ...لماذا نجد نصوصا أخرى هي أقدم تاريخا من القرآن وما زالت تقرأ" [2] ويمثل مصطفى الحسن بالنصوص الفلسفية اليونانية القديمة والتراث الإغريقي القديم ، ويرى أنه إن اعترض البعض عن هذا الرأي على أساس أن النص الأدبي وإن كان قديما يختلف عن النص

[1] نصر حامد أبوزيد، النص والسلطة والحقيقة –إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة –، 2006، ص 39

[2] مصطفى الحسن، موجز في طبيعة النص القرآني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الط:1 2012 ص 60

الديني فالجواب أن القارئ للنص الأدبي يستحضر وجوده النقدي ويعطي لنفسه فرصة الاختلاف معه ويمكن أن يدخل معه في حوار عكس النص الديني فالمشكلة ليست في النص وإنما في كيفية قراءته بالطريقة التي تتيح لك فرصة فهمه وتأويله.

خاتمة:

يعدّ نصر أبوزيد حامل لمشروع التجديد، وهي دعوة إلى تفكيك النص الديني وإعادة بنائه وفق آليات فكرية جديدة تخلص المرحلة الجديدة من هيمنة الذين احتكروا الخطاب الديني وعملوا على حصره في إطار التقليد والاتباع، وهذا ما جعله يهدف إلى مشروع قرائي معاصر، فهو يحمل من خلال مشروعه هذا بناء جديدا يتجاوز الأنماط التقليدية في محاولة خلق لنظام معرفي منفتح يكسب وجوده من خلال سيرورته التاريخية وفقا لتشكلات الواقع الاجتماعي والثقافي، فهو يحاول طرح خطوات التجديد والتي أوردها في كتابه " نقد الخطاب الديني" متمثلة في تحليل الموروث القديم وظروف نشأته، وتحليل الأبنية النفسية للجماهير، و أيضا تحليل أبنية الواقع[1] .وحين يستعرض مفهوم التجديد في قراءته التأويلية يقول:" إن مصطلح التجديد شديد الدلالة في إحالته إلى مفهوم "إعادة البناء" ، خاصة وأن المصطلح هو عنوان المشروع، الأمر الذي يجعل إعادة البناء مجرد طلاء للبناء القديم. إن هذا البناء في حقيقته تفكيك للمنظومات الفكرية للفرق والاتجاهات وإعادة ترتيب لجزئياتها" [2].

إذن هي محاولة من نصر أبوزيد في أن يجد أسلوبا جديدا تكون فيه القراءة التأويلية تجديدا للتراث، وذلك حتى يضعه في سياقه التاريخي والاجتماعي، وحتى يصبح هذا التراث متجددا ومنفتحا على جميع المعطيات الزمانية والمكانية، وبالتالي يخرج هذا التراث من التصور الضيق المحدود وإن من أهم آليات الخطاب الديني القرآن والحديث النبوي، والتأويل الحقيقي هو التأويل المنتج لدلالة النصوص من خلال تحليل مستويات السياق، لكن الخطاب الديني في نظره يتجاهل مستويات السياق في خضم التركيز على الدلالات المنجزة مسبقا، ومرد ذلك في نظره إلى سببين أساسين، الأول تجاهل القوانين المشـــكلة للنصوص اللغوية، والثاني إلى اعتبار النصوص الدينية نصوصا مفارقة لسواها من النصوص اللغوية[3].

ومهما يكن من أمر فإن نصر حامد أبوزيد حمل لواء التجديد وسعى لتطبيقه فكان موضوع التجديد في الدراسات القرآنية من بين المواضيع التي كانت تشغله إن لم نقل هو الموضوع الأهم في مجمل أعماله الفكرية.

كما كان يسعى إلى وضع تفسير جديد للقرآن مع وضع مقدمة للتفسير على شكل دراسة نقدية للتفاسير الموجودة، كما كان يسعى إلى تشكيل فريق يقوم على ترجمة" الموسوعة الاسلامية" التي كان أحد

---

[1] نصر حامد أبوزيد، نقد الخطاب الديني، ص 155.

[2] المصدر نفسه، ص 159

[3] نصر حامد أبوزيد، النص والسلطة والحقيقة– إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص 92 .

المشاركين فيها، واعتبر عدم ترجمتها نقص كبير. وفي كتابه الأخير الذي يعتبر من آخر أعماله في مجال الوعي الديني كتابه "التجديد والتحريم والتأويل " يصرح فيه بكل ذلك ويؤكد بقوة فيه أيضا على ضرورة التجديد بوعي فكري خصب في مجال الدراسات الإسلامية عموما والدراسات القرآنية على جهة الخصوص، مع ضرورة الاستفادة من المناهج الحديثة في قراءة النص القرآني وفتح هذا النص على الحياة بكل حرية، و والإقرار بوجود الحق الكامل في الاختلاف في الفهم والقراءة والتفسير. ويرى أن بعض الحركات الإسلامية تصاب بشيء من الخوف والفزع إذا ما علموا بتأويل حداثي عصري سيطال النصوص المؤسسة المتمثلة في القرآن والسنة حتى أنه يشير إلى أن كلمة تأويل تحولت إلى كلمة مخيفة[1]

[1] نصر حامد أبو زيد التجديد والتحريم والتأويل ، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى 2010، ص35